المرأة في كتابات الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله

المرأة المسلمة موضوع ذو شعب : جهلها, تربيتها, تعليمها, حجابها, وظيفتها في البيت, والرجل المسلم موضوع أكثر تشعبا, والشاب المسلم موضوع, والطفل كذلك ..[1] , **وجوانب الحديث عنها _ المرأة _ متعددة فالحجاب والطلاق والوظيفة والعمل والتعلم والإختلاط والميراث والإنتخاب أخيرا , كلها جوانب للحديث عنها هجوما أو دفاعا** [2] , وعليه فقد أبان لنا العلاّمة الإبراهيمي رحمه الله حدود الموضوع وكشف لنا أطرافه وما يتعلق به , والحقيقة أن المرأة حظيت بمقالات في آثار الشيخ الإبراهيمي رحمه الله وحسبنا منها أن تُستَلَّ سلاً بكاملها لولا الإطالة على القارئ , وحديثنا عن المرأة في كتابات الشيخ الإبراهيمي سيكون على شكل نقاط نتناولها بالطرح بما يتوافق مع المختصر المفيد , والله الموفق.

تمهيد:

لم يستمت أحد من رجال جمعية العلماء في الدفاع عن المرأة المسلمة , استماتة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي , فقد تصدى الرجل لدعاة السفور وخلع الحجاب , دعاة تحرير المرأة من الجزائريين المتفرنسين والليبراليين , ولاسيما من المتفرنسين الذين أخذوا يصدرون آراء باسم المرأة الجزائرية في الجرائد والمجلات , ويخصصون لها برامج الإذاعة , ويحثّون الرجال على دعوة النساء إلى الأخذ بأسباب التقدم والمدنية والتقاليد الفرنسية , ولم يقصدوا بذلك سوى هدم هذا الحصن (المرأة الجزائرية) الذي أعجزهم وأزعجهم قرنا من الزمن , فقد كافح الإبراهيمي بقلمه الفذ وأسلوبه الفريد , للرد على هؤلاء وهؤلاء , وسعى لنشر علمه في أوساط الجزائريين المسلمين , وبذل كل ما بوسعه للحفاظ على

---

[1] آثار الإمام 263/4

[2] آثار الإمام 362/4

هوية المرأة العربية الإسلامية , والوقوف في وجه دعـاة تحريرها ,[3] كما هو شأن رفقائه في الدرب أمثال ابن باديس والعقبي والتبسي , فقد حملوا مشروعا عظيما على عاتقهم هو تعليم وتربية الأمة ذكورا وإناثا , والمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم , والأخذ بأيديهم إلى مناحي الخير والسعادة , والذود عن كل من يعكّر صفوهم ويكدّر معيشتهم خاصة من الأفكار الهدّامة كتحرير المرأة من جلباب حيائها , وإخراجها من ربقة تعاليم دينها.

تحرير الإسلام للمرأة:

لعلّ أهل المسائل التي ناقشها الإمام الإبراهيمي رحمه الله باهتمام قضية تحرير المرأة وتعليمها ,إذ يقول :"**حرّر الإسلام المرأة من ظلم الرجال وتحكّمهم , فقد كانت المرأة في العالم كلِّه في منزلة بين الحيوانية والإنسانية بل هي إلى الحيوانية أقرب , تتحكّم فيها أهواء الرجال وتتصرف فيها الإعتبارات العادية المجردة من العقل , فهي حينا متاع يُتخطّف , وهي تارة كرة تتلقف , تعتبر أداء للنسل أو مطية للشهوات**"[4] مضيفا أن الإسلام كفل للمرأة المكانة التي تستحقها , ومنحها حقوقها المادية والمعنوية , وشرّع مساواتها في التكاليف الشرعية , يقول الإمام رحمه الله :" **فجاء الإسلام فنبّه على منزلتها وشرفها وكرم جنسها , وأعطاها كل ما يناسب قوّها العقلية وتركيبها الجسمي وسوّى بينها وبين الرجل في التكاليف الدينية , وخاطبها بذلك تشريفا لها , وإبرازا لشخصيتها , ولم يجعل الرجل عليها سبيلا في كل ما يرجع إلى دينها وفضائلها , وراعى ضعفها البدني بالنسبة للرجل , فأراحها من التكاليف المادية في مراحل حياتها الثلاث من يوم تولد على يوم تموت , بنتا وزوجا وأمّا , فأوجب على أبيها الإنفاق عليها وتأديبها ما دامت في حجره إلى أن تتزوج , وهذا حق تنفرد به البنت على الإبن الذي يسقط الإنفاق عليه ببلوغه قادرا على الكسب , فإذا تزوجت انتقل كل ما لها من حق أدبي أو مادي من ذمة الأب إلى ذمة الزوج , فتأخذ منه الصداق فريضة لازمة , ونحلة مسوّغة وتستحق عليها نفقتها ونفقة أولادها منه**

---

[3] قضايا المرأة ضمن اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1925-1954 , رسالة ماجستير للباحث زهير بن علي , ص 170 , وهي رسالة موفّقة في بابها , حُرّرت تحريرا مفيدا , ونتشوّف أن تكون هذه الرسالة العمدة في الدراسات المستقبلية إن شاء الله.

[4] آثار الإمام 360/4.

بالمعروف , فإذا خلت من الزوج ولها أولاد مكتسبون وجبت الحقوق على أولادها , ولا تنفِق شيئا من مالها إلا باختيارها , ووصايا القرآن والسنة وأحكامها في بر الأمهات معروفة , وهي أظهر من الشمس , فالإسلام أعطى المرأة وأولادها من الإعزاز والتكريم ما لم يعطها إياه دين آخر ولا قانون وضعي وأعطاها حق التصرّف في أموالها , وحق التملك من دون أن يجعل للزوج عليها سبيل".[5] ويضيف أيضا الإمام رحمه الله :" **نرى من هذه المعاملة الصريحة للمرأة في الإسلام أنه سلحها بأحكام قطعية , وحماها بتشريع سماوي عادل ولم يكلها إلى طبائع الأباء الذين يلينون ويقسون , ولا إلى أهواء الأزواج الذين يرضون ويغضبون , ولا إلى النزعات الأبناء الذين يبرون يعقون , وإنما هي أحكام إلهية واجبة التنفيذ , لا تدور مع الأهواء والعواطف والنزعات**[6] **وجودا وعدما , ولا ينقض علينا هذه الأصول شذاذ العصور المتجاوزون لحدود الله الخارجون عن الفطرة الصحيحة"**[7]

تعليم المرأة:

فقد سألته السيدة فاطمة جناح أخت بطل الإنفصال قائد باكستان الأعظم محمد علي جناح عن المرأة الجزائرية والطرق التي يجب أن تسلُكَها للحياة , فأجاب الإمام رحمه الله :" **بعد أن تبيّن أن حالتها الحاضرة فساد لها وإفساد لأمتها , ووبال عليهما معا**[8] **.. إن المرأة المسلمة يجب أن تتعلّم**

---

[5] آثار الإمام 361/4

[6] ومما قاله العلامة الإبراهيمي :" **فبعضهم يرفعها إلى أعلى من مكانها فيُسقطها ويسقط معها , ويعطيها أكثر من حقها ومن مقتضيات طبيعتها فيفسدها ويفسد بها المجتمع , وبعضهم يحُطها عن منزلتها الإنسانية فيعدّها إما بهيمية وإما شيطانا حتى جاء الإسلام فأقرّها في وضعها الطبيعي وأنصفها من الفريقين**" آثار الإمام 66/4

[7] آثار الإمام 361/4

[8] هذا في سنة 1952 حالتها فساد وإفساد فكيف لو رأى الإمام رحمه الله حالها اليوم فماذا عســاه أن يفصح .. تبرج أعمى , لباس شبه عار وفاضح , تسيّب وانحلال وتمرد على الأخلاق , الأب متخاذل مهزوم , الأم جهولة , المجتمع ينظر مطأطأ الرأس كان الأمر لا يعنيه , التعليم جاف خال من التربية الإسلامية بل مادة العلوم الإسلامية ما هي إلا نُتَف مغمورة في بحر من العلوم الدنيوية لا تسمن ولا تغني من جوع , حقيقة نحن نواجه عقيدة خبيثة مستقرة في النفوس (الفيزو والسروال لباسنا), فما لنا إلا أن نقول مــا أرى هذا التبرج والسفور إلا العفة تحتضر وتموت فهيئ للعفاف الضريحا .. ولا يجب أن نتقاعس أمام هذا الواقع المُردي المزري بل الدعوة ماضية بنشر المطويات والصوتيات والتوجيهات كلٌ حسب جهده , وعلى الحاكم الواجب الأكبر في دحْر العري والسفور كأن يغلق مَحَال بيع ألبسة التبرج والخنا وإجبار الفتيات على ارتداء اللباس الفضفاض الساتر داخل مؤسسات التعليم والجامعات والمعاهد , حتى في الشارع وتغريم كل فتاة تظهر باللباس الفاضح لأن القوة بيده وإذا لم ينكر المنكر فهو آمر به على حد تعبير الإبراهيمي رحمه الله.

, ويجب أن تتهذّب , لكن بشرط أن يكون ذلك في دائرة دينها وبأخلاق دينها , وأن الإسلام ضمن لها حقوق الإنسان كاملة, وحاطها من جميع الجهات بما يجبر ضعفها الطبيعي , وأقرّها في أحضان البرّ والتكرمة بنتا وزوجا وأمّا , وهي أطوارها التي تجتازها في الحياة , وحدّد لها الوظيفة التي حدّدتها لها الفطرة .. وأعطاها من الماديات والمعنويات ما لم تعطها شريعة سماوية ولا قانون وضعي , وألزمها أن تتعلم كما ألزم الرجل أن يتعلّم, لأنه سوّى بينهما في التكاليف , والتكاليف لا تؤدى إلا بالعلم , وأوجب عليها العشرة , والعشرة لا تصلح إلا على العلم وجعلها مَغرسا للنسل وغارسة للخصائص فيه , ومتعهدة له بالسقي والإصلاح , وكل هذا لا يتم إلا بالعلم , فإذا جهلت المرأة أتعبت الزوج , وأفسدت الأولاد , وأهلكت الأمة ..[9] , ونوّه الإمام الإبراهيمي رحمه الله بجهود الجمعية إزاء تعليم البنات :" **فجاءت جمعية العلماء وأذابت الجمود وكسرت السدود وأخرجت المرأة من سجن الجهل إلى فضاء العلم في دائرة التربية الإسلامية والمنزلة التي وضعت المرأة فيها , والجمعية تَبني أمرها على الحقيقة , وهي أن الأمة كالطائرة لا تطير إلا بجناحين , وجناحاها هما الرجل والمرأة , فالأمة التي تخصّ الذَّكر بالتعليم تريد أن تطير بجناح واحد فهي واقعة لا محالة**[10]. وقال أيضا :" **وإنها _الجمعية_ تعلّم البنت المسلمة العلم والعفاف , وتربّيها على الكرامة والشرف , علما بأن العلم الديني**[11] **هو رائد العفاف , وأن الجهل هو سبب انحدارها إلى ما ترونه وتتعامون عنه ... وإن الإستعمار متشائم بحركات جمعية العلماء كلها , لأنها إيقاظ لشواعر الأمة , وإحياء للفضائل الإسلامية في أنفسها , ومتشائم على الخصوص بتعليمها للبنت المسلمة , لأن نتيجتَه تكوين بنت صالحة , تصبح غدا زوجة صالحة , وبعد غد**

---

[9] آثار الإمام 50/4 وهناك قصيدة للإمام فيها حثٌّ للبنت على تعليمها وتثقيفها , الآثار 133/4

[10] آثار الإمام 170/4

[11] لا علم الطب أو الهندسة والرياضيات أو الفيزياء أو الإعلام الآلي أو البيطرة ! ومما يجدر التنبيه عليه في هذا الأمر أن التلميذ الجزائري من سنة أولى ابتدائي إلى الثالثة ثانوي وحتى المرحلة الجامعية , كل هذه المدة 15 سنة دراسة نظامية يخرج خاوٍ من القرآن والحديث فلا ربع حزب يحفظ ولا حديث واحد يروي .. وهذا هو مكمن العطب والخلل , في تفشي مظاهر الضياع والإنحراف.

أمّا صالحة , وهَالَهُ أن تعمُرَ البيوت ولو بعد حين بالصالحات , فيلدْن جيلا صالحا صحيح العقائد , متين الإيمان , قويم الأخلاق , طموحا إلى الحياة ,[12]

ضوابط تعليم البنت:

الحديث عن تعليم البنت يقودنا للحديث عن ضوابط التعليم والنتائج المرجوة وراءه , يقول الإمام الإبراهيمي رحمه الله :" **ولجمعية العلماء جولات موفّقة في هذا الميدان , فالنساء أصبحن يشهدن دروسا خاصّة بهن في الوعظ والإرشاد ويفهمن ما للمرأة وما عليها , وشهد الرجال بتبدّل الحال وظهور النتائج في المحافظة على العرض والمال وفي إحسان تدبير المنزل وتربية الولد , وفي مدارس جمعية العلماء نحو 13 ألف بنت , يشاركن الأولاد في السنوات الثلاث الأولى من المرحلة الإبتدائية , ثم ينفردن ببرنامج محكم , وينعزلن في صفوف خاصة**[13] **مع الشدة في التربية الإسلامية , والدقة في المراقبة."**[14] , وعلى غرار ما ذُكِر من الشدة والدقة في المراقبة , إلا أن الجمعية اتُّهمت من طرف الأشرار المغرضين الحاقدين الذين تصنّعوا الغيرة على أعراض المسلمات أن تُنتهك وعن الحرمات أن تُهان , واستعدوا السماء والأرض على جمعية العلماء لأنها عرّضت الأعراض المصونة للتمزيق , وتباكوا على الإسلام حتى يوشك أن تنقلب دموعـهم دماءً , وكان رد الإمام الإبراهيمي عليهم بحزم وقوة وشدة في اللهجة , والذنب لمن جعل نفسه عرضة لوخْز الأقلام ووطء الأقدام , قال رحمه الله :" **ما لـهؤلاء الرهط _ أنصار الأعراض _ يسكتون عن أعراض الآلاف من المسلمات المستخدمات عند الأجانب ؟! ما لهم لم تتحرك غيرتهم على عشرات الآلاف من اللواتي يملأن المواخير ؟! ما لهم عميت أبصارهم وبصائرهم عن هذا السيل من التعليم**

---

[12] آثار الإمام 384/3

[13] ينعزلن حسما لمادة الشر , لأن الإختلاط ونظر الشاب للفتاة أو العكس يولّد التعلّق والغرام ومن ثم ركوب الشهوات البهيمية من زنا وسِحاق ولواط , وهذا التعليم الذي نحن أحد منتسبيه أن تجلس التلميذة بجانب التلميذ وتخرج معه في الساحة وتجري معه في مضمار السباق باللباس الرياضي!؟! , كل هذا مطية لفتنة شهوات عارمة , ومن يريد الخير لأبناء الأمة فعليه أن يفصل البنين والبنات عن بعضهما البعض وإلا سنقف متأوّهين من الخزي والعار , أن نسمع يوما تلميذة حامل!؟ وتلميذ اعتدى على زميلته في القسم , وتعليم هذا حاله تعليم مفسد للأجيال وسيتحملون المسؤولية شعروا بذلك أم لم يشعروا ..

[14] آثار الإمام 170/4

الإستعماري الجارف المتوجه إلى البنت المسلمة على الخصوص , لينتزعها من الخدر , وينزع عنها لباس الفضائل الإسلامية ؟ أين كانوا _ لا كانوا _ من أفواج البنات المسلمات و طرائد البؤس , وفرائس التبشير المسيحي , وهنّ تحت أسماعهم وأبصارهم ؟! ... كذبتم وفجرتم _ أيها الرهط _ إن جمعية العلماء حاربت الرذيلة , وحاربت دعاة التحلل الأخلاقي كفاحا[15].

المرأة مظلومة ؟!!:

وفي موضوع " المرأة في الإسلام" يتدخل علماء الغرب ملاحدة ومتألهين , ويتعاطون ما لا يحسنون من القول في هذا الموضوع , ويجعلون منه ذريعة للنيل من الإسلام , ولقد ناظرنا جماعة منهم في الموضوع فأفحمناهم وألقمناهم حجرا , قلنا لهم : هاتوا مثالا نتناقش فيه , فقالوا : الميراث, قلنا : من أي جهة ؟ فإن المرأة ترث بعدة أسباب , فنظر بعضهم إلى بعض , هل يراكم من أحد , وكادوا يتسللون , وكأنهم كانوا لا يعرفون إلا أن المرأة مظلومة في القرآن الذي يقول : للذكر مثل حظ الأنثيين" , فقال لنا أحدهم : نعني ميراث البنت مع أخيها ,فقلتُ : أنتم تبنون الحياة كلَّها على الحساب , فهلم نتحاسب , ولنفرض أن مُوَرِّثا مسلما مات وترك ابنا وبنتا وثلاثمائة نقدا , قال الإسلام : للإبن مئتان وللبنت مائة , فقلتم هذا ظلم ... هذا غبن ... هذا اجحاف ... ولنجرِ معكم على مثالنا ولا نخرج عنه , ولنفرض أن الأخوين , الذكر والأنثى تزوَّجا في يوم واحد , وليس لهما من المال إلا ذلك الميراث , فالذكر يدفع لزوجته مائة صداقا , فيُمسي بمائة واحدة وأخته تأخذ من زوجها مائة صداقا فتصبح ذات مائتين , والذكر مطلوب بالإنفاق على نفسه وزوجته وأولاده إن وَلَدَ , وأخته لا تنفق شيئا على نفسها ولا على أولادها[16].

المرأة أداة من أدوات الإفساد :

---

[15] آثار الإمام 384/3.

[16] آثار الإمام 362/4 , وأي ظلم يتباكون عنه ويتكلمون عليه وقد **"أحاطها _ الإسلام _ بالقلوب الرحيمة المتنوعة النوازع , المتلوّنة العواطف , قلب الأب وما يحمل من حنان , إلى قلب الزوج وما يحمل من حب , إلى قلب الولد وما يحمل من بر ورحمة , فهي لا تزال تنتقل من حضن كرامة وبر إلى حضن كرامة وبر , إلى أن تفارق الدنيا"** آثار الإمام 361/4.

قال الإمام الإبراهيمي رحمه الله أثناء محنة مصر حرسها الله :"**فلعمرك يا مصر إنهم لم يقاتلوك بالحديد والنار إلا ساعة من نهار , ولكنهم قاتلوك في الزمن كلِّه بالأستاذ الذي يفسد الفكر , وبالكتاب الذي يزرع الشك , وبالعلم الذي يُمرض اليقين , وبالصحيفة التي تنشر الرذيلة , وبالقلم الذي يزيّن الفاحشة , وبالبغيّ التي تخرّب البيت , وبالحشيش الذي يهدم الصحة , وبالممثلة التي تمثّل الفجور , وبالراقصة التي تُغري بالتخنث , وبالمهازل التي تقتل الجد والشهامة , وبالمخمرة التي تذهب بالدين والبدن والعقل والمال , وبالشهوات التي تفسد الرجولة , وبالكماليات التي تثقل الحياة ..**"[17]

المرأة و الزواج:

من بين المشاكل الإجتماعية التي عالجها الإمام الإبراهيمي رحمه الله مشكلة الزواج وقد خصها بتحرير بليغ , حثّ على الزواج ورغّب فيه , لأن الزواج عنده أشرف خدمة يقدمها الشاب لوطنه فكتب :" **إنكم لا تخدمون وطنكم وأمتكم بأشرف من أن تتزوجوا , فيصبح لكم عرض تدافعون عنه , وزوجات تحامّون عنهن , وأولاد يوسّعون الآمال , هنالك تتدربون على المسؤوليات , وتشعرون بها , وتعظم الحياة في أعينكم .. إن الزوجة والأولاد حبال تربط الوطني بوطنه وتزيد في إيمانه , وإن الإعراض عن الزواج فرار من أعظم مسؤولية في الحياة** [18] , وبيّن الإمام رحمه الله ماهية الزواج وحقيقته فقال :"**الزواج عقْد بين قلبين , ووصْل بين نفسين , ومزْج بين روحين , وفي الأخير تقريب بين جسمين , فإذا تراخت عُراه بين القلبين ضاعت حكمة الله في السكون والرحمة والعطف**"[19] , وتحت هذا العنوان العريض المرأة والزواج سأردف عناوين فرعية بما يناسبها من التوضيح :

---

[17] آثار الإمام 498/3

[18] آثار الإمام 296/3.

[19] آثار الإمام 297/3

الزواج تحصين : "إن الأمة الرشيدة هي التي تحرس شبّانها في طور الشباب من الآفات التي تصاحب هذا الطور , فتحافظ على أفكارهم أن تزيغ , لأن هذا الطور طور له ما بعده من زيغ أو استقامة , وتحافظ على أهوائهم أن تتجه اتجاها غير محمود , وتحافظ على عقولهم أن تعْلَقَ بها الخيالات , فتنشأ عليها ويعسر أو يتعذّر رجوعهم عنها , وتحافظ على ميولهم وعواطفهم أن تطغى عليها الغرائز الحيوانية , لأن هذا الطور هو طور تنبّهها ويقظتها , راعى الإسلام وهو دين الفطرة كل ذلك فندب إلى الزواج , وحضّ عليه وسماه إحصانا , وشرع له من الأحكام ما هو أقرب إلى التيسير والفطرة والتسامح , كل ذلك ليحفظ على الشاب والشابة دينهما وعرضهما , ويضبط عليهما عواطفهما فلا تمتد العين إلى محرم , ولا تهفو النفس إلى محظور" .[20]

عواقب وخيمة في تأخير الزواج: " أعضل هذه المشاكل , وأعمقها أثرا في حياة الأمة , وأبعدها تأثيرا في تكوينها , مشكلة الزواج بالنسبة إلى الشبّان , فالواقع المشهود أن الكثير من شبابنا وهم أملنا وورثة خصائصنا يُعرضون عن الزواج إلى أن يبلغ الواحد منهم سن الثلاثين فما فوق , ويترتب على ذلك أن الكثيرات من شوابنا يتعطلن عن الزواج إلى تلك السن , فيضيع على الجنسين ربيع الحياة ونسماته وأزهاره وبهجته وقوته , ويضيع على الأمة نبات ذلك الربيع , وثمر الخصب والنماء والزكاء فيه , ثم تضيع بسبب ذلك أخلاق وأعراض وأموال" [21]

إبطال التذرّع والتعلّل بالعلاقات الغير شرعية: "إن الطبائع الفردية في البشر تختلف وتتباين , وعوارض الحب والبغض تتغير وتزول .. فالخلطة الطائرة القصيرة و المصحوبة بنزوات الشباب , التي يجعلها الأوربيون شرطا في الزواج , ويزعمون أنها ضامنة لدوام العشرة وسعادة البيت , قلما تصدق , لأنها لا تكشف عن الجواهر الأخلاقية الأصلية , مع ما يَصحَبُها من الغش والتصنع , وكثيرا ما نرى الزوجين منهم بعد نُصول الصِبْغِ الكاذب, وانكشاف الحقائق الطبيعية , يرجعان إلى حالة من المعاكسة والخلاف هي العذاب بعينه , والإسلام لا يبني على هذه الإعتبارات الزائلة , وإنما يبنى على اعتبارات عُليا , إن لم تُلائم هوى طاغيا في الفرد فإنها تلائم مصلحة

---

[20] آثار الإمام 295/3

[21] آثار الإمام 293/3

المجموع"[22]

الإعتبار للدين لا للمال: "هذه العوائد بدّلت حكم الله ونسخت سنّه رسوله , فأصبح الزوج لا ينظر من الزوجة إلى دينها وحسبها وجمالها , وإنما ينظر إلى شيء واحد إلى مالها , فلتكن من خضراء الدمن , ولتكن دميمة الخِلقة , كل ذلك لا يَضِيرُها عند الزوج الطامع إذا كان لها مال , وولي الزوجة لا ينظر من خاطب بنته إلى أصله ودينه وأخلاقه , وإنما ينظر إلى شيء واحد إلى ماله وما يقدمه من المهر الغالي والحلي والنفيس , وبعد هذا لا نعجب إذا رأينا كل زواج يبتدئ بهذا الإعتبار , ينتهي بالطلاق والعداوة والخصام بعد أشهر وأيام .... وعلى هذا الرجل الذي يزوج ابنته على هذا الأصل الواهي [المال] , ولا يراعي في زوج بنته إلا جانب المال , رجل لا عقل له ولا ضمير"[23].

المرأة

والصداق:

الصداق إكرام : الصداق نحلة شرعية مشروطة في عقدة النكاح , يعجلها الزوج للزوجة أو يعمر بها ذمته إلى أجل .. بل إن معناها أعلى وأجل , إنها إكرام للرجل القوّام للمرأة الضعيفة , ووصلة بين قلبيهما وتوثيق لعرى المحبة بينهما , وتأنيس يسبق العشرة المستأنفة , وبريد يحمل البشرى بالقرب[24]

مقاصد الإسلام : "إن الصدقات التي يتغالى فيها هؤلاء الحمقى يكتفي فيها الإسلام بأقل مُتموّل , وقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمة مؤمنة على أن يعلِّمَها زوجها سورا من القرآن , واكتفى في التزويج أخرى بخاتم من حديد (لو وجد) ليرشد إلى أن المال ليس له من الإعتبار في باب الزواج إلا ما لخاتم الحديد, مقاصد الإسلام في هذه السنة أعلى من كل ما يعمله الناس , فهو يرمي بما شرع إلى بناء بيوت على المحبة و التعاون على تربية النسل وتعليمه

---

[22] آثار الإمام 134/3

[23] آثار الإمام 295/3

[24] آثار الإمام 324/3

وتقوية الأمة به"[25]

تحكيم العوائد السيئة : **"ولو أننا وقفنا عند حدود الله , ويسرنا ما عسرته العوائد من أمور الزواج , لما وقعنا في هذه المشكلة , ولكننا عسرنا اليسير , وحكمنا العوائد , والعجائز القواعد , في مسألة خطيرة كهذه , فأصبح الزواج الذي جعله الله سكنا وألفة و رحمة – سبيلا للقلق والبلاء و الشقاء , وأصبح اللقاء الذي جعله الله عمارة بيت وبناء أسرة – خرابا لبيتين بما فرضته العوائد من مغالاة في المهور , وتفنن في النفقات و المغارم... هذه بعض الموبقات التي قررتها العادة الفاسدة في مجتمعنا , فأدت إلى بقاء الشبان والشابات أعزابا ساخطين على الحياة متبرمين بها, ثم ماذا كانت العاقبة ؟ فساد أخلاق وتهور في الفسق وأول الغيث قطر."**[26]

تيسير المهور : تناول الإمام الإبراهيمي رحمه الله مشكلة المشاكل , هي على صلة وثيقة بالزواج , لا بل هي سبب الإعراض عنه والتذّمر منه , تتمثل في قضية المغالاة في المهور , ورغم أن الصداق حق شرعي للزوجة لا تحده قيمة , فقد خاطب الإبراهيمي رحمه الله أولياء البنات وحضهم وألحّ على التيسير وزجر عن التعسير , فقال :**"أيها الآباء يسّروا ولا تعسروا ! وقدّروا لهذه الحالة عواقبها وارجعوا إلى سماحة الدين ويسره , وإلى بساطة الفطرة ولينها , إن لبناتكم مزاحات في السوق على أبنائكم , وإن معهن من الإغراء والفتون ما يضمن لهن الغلبة في الميدان , فحذار أن يغلب ضعفهن قوتكم , وإن هذه الحرب التي أفنت ملايين من الشبّان , أبقت عديدهم من النساء , وإنهن يُجلن الآراء والأعين في مستعمرات من الشبان , أو في شبان من المستعمرات , وإنهن مسلحات بأفتك من أسلحة الحرب , فحذار أن يكون شبابنا فرائس هذا الإستعمار الضعيف القوي**[27] وقال أيضا العلاّمة الإبراهيمي رحمه الله :**" إن المغالاة في المهور أفضت بنا إلى مفسدة عظيمة , وهي كساد بناتنا وإعراض أبنائنا عن الزواج , واندفاعهم في رذائل يعين عليها الزمان والشيطان , فعلى المسلمين أن يذلّلوا العقبات الواقعة في طريق زواج بناتهم وأبنائهم , وأن يقتلوا**

---

[25] آثار الإمام 295/3

[26] آثار الإمام 295/3

[27] آثار الإمام 296/3

هذه العوائد الفاسدة المُفسدة , وأن ييسّروا ولا يعسّروا وأن يعتبروا في الزواج حسن الأخلاق , لا وفرة الصداق , وفي الزوجة الدين المتين , لا الجهاز الثمين"[28]

المرأة والطلاق

الطلاق حق : "فإذا زاغت الفطرة عن محورها , أو طغت الغرائز الحيوانية على الفضائل الإنسانية في أحدهما أو كليهما , ولم يقم العقل وحده أو مع الحكمين (العقل وشفاعة النسل) , بإصلاح ذات البيّن , فالله أرحم من أن يكلف عباده تحمّل هذا النوع من العذاب النفسي , وهو الجمع بين قلبين لم يأتلفا وطبعين لم يتحدا و وروحين لم يتعارفا , لذلك شرع لهما الطلاق ليستريح إليه من ضاق ذرعا بصاحبه ضيقا معقولا بدواعيه وأسبابه.[29]

التعسف بالطلاق: "يخرج الرجل إلى السوق أو يجلس في المقهى , ويختلف مع آخر في شأن جليل أو حقير فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق حانثا فتكون النتيجة خراب بيت وتمزيق أسرة وتشريد بنين , ويتناقش آخر مع صهره في زيارة أو استزارة فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق وتكون النتيجة تقطيع أرحام وتكوين فتنة , ويتنازع اثنان الحديث في السياسة أو التفضيل بين شخصين أو في الغيم والصحو فتجري ألفاظ الطلاق متناثرة متعددة , وكأنها لازمة الحديث وكأن الكثير منهم لم يتزوج إلا ليجعل الزوجة أداة يمين , أو ليصدقه الناس حين يحلف لعلمهم أنه متزوج , وكثيرا ما تُطلَّق الزوجة بهذه الأيمان والإلتزامات العابثة وهي لم تعلم من ذلك شيئا ولم تتسبب فيه , وكثيرا ما تكون آمنة في بيتها سعيدة بزوجيتها , فتتفاجأ بالطلاق من زوج أحمق مأفون لخلاف شجر بينه وبين جار أو بائع أو مشتر على أتفه الأسباب , أيها المسلمون إن عقدة الزواج عقدة مؤكدة يحافظ عليها الأحرار ويتلاعب بها الفجار .."[30]

أضرار الطلاق : "إنه لا أشقى من ابن المطلقة , وإن أباه يُشقيه أولا ويشقى به أخيرا , فإذا رُبِيَ في حضن أمه المطلقة شقي ببُعده عن أبيه وشقي أبوه بما تغرسه أمه في نفسه من بغض له وحقد

---

[28] آثار الإمام 327/3

[29] آثار الإمام 297/3

[30] آثار الإمام 299/3

عليه , إن الأمة لا تنعم بأطفالها صغارا ولا تنتفع بهم كبارا إلا إذا نشأوا متقلبين في أحضان الآباء والأمهات , متلقين لدروس العطف والحنان من قلبين متعاطفين , لا من قلب واحد"[31]

الخاتمة

هذا ما وقعت عليه عيني في آثار الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله وآمل أنني قرّبت نوعا ما نظرة الإمام رحمه الله للمرأة , تلك النظرة المتكاملة , من تربية وتعليم وتقويم ورعاية , لأن الدعوات الإصلاحية التجديدية لا ترضى بالحلول الوسط ولا بأنصاف الحلول فهي تصارع المعتقدات الفاسدة وتحارب السلوكات المنحرفة , فلا إغفال ولا إهمال لشأن دون شأن أو فرد دون فرد , فإصلاح الرجل في توجهه وشطره الآخر يقبع في ظلمات من الجهل والغي هذا إصلاح مختل ناقص , لذلك كان منهج الجمعية الدعوي يمس مختلف الجوانب ويشمل جميع النواحي , واللهَ نسأل أن يرحم الشيخ البشير الإبراهيمي على ما قدم للأمة وأن يجزل له المثوبة والمغفرة وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه , مُحب الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله دويدي صلاح الدين. ليلة السبت 2016/8/27البريد الإلكتروني salafi.diwi@gmail.com

ومن الكتب والمقالات المختصرة المفيدة في موضوع المرأة :

- إصلاح المرأة عند الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله مقال منشور في مجلة الإصلاح الغراء الجزائرية العدد 48 .
- موعظة للنساء للشيخ الأستاذ الدكتور عبد الرزاق البدر.
- – دور المرأة في النصيحة للشيخ الدكتور رضا بوشامة الجزائري.
- – دروس صوتية للشيخ سالم العجمي كالإختلاط , وليسعك بيتك , رسالة خاصة لزوجة , ضحية معاكسة .. فهي نافعة في محتواها وفحواها..

[31] آثار الإمام 300/3